**المحاضرة 11**

**الاستراتيجيات القطرية والأمن الدولي**

**الاستراتيجية الروسية والأمن الأوروبي**

تمت اعادة هيكلة السياسة الخارجية الروسية تجاه أوروبا قبل انهيـار الاتحاد السوفياتي، وذلك من خلال الفكر الجديد الذي حمله الرئيس غورباتشوف نهاية الثمانينات، حيث جاء بتغييرات جوهرية في السياسة الروسية داخليا وخارجيا حملت عنوان **سياسات الاصلاح والانفتاح** – البروستروكا (الاصلاح واعادة البناء والهيكلة) –الغلاسنوست (الحوار المفتوح والتوجه نحو الديمقراطية)، فقامت هذه السياسة الجديدة على تغيير نظرة العداء الى الغرب عموما والى أوروبا على وجه الخصوص، وعدم جدوى استمرار الصــــــراع الايديولوجي الذي أثر سلبا على الاوضاع الداخلية للاتحاد السوفياتي آنذاك، كما طرح غورباتشوف فكرة عودة **البيت الأوروبي الموحد**، كمبدأ جديد لتوجه السياسة الخارجية السوفياتية نحو أوروبا، وذلك بالدعوة الى التعايش والانفتاح وحل النزاعات والقضايا الخلافية بالطرق السلمية.

أما فترة التسعينات التي حكم فيها يلتسن فقد عرفت درجة كبيرة من الضعف والتبعية المطلقة للغرب (فقدان روسيا لهويتها وكيانها التنافسي والصراعي)، والتي وجهت فيها الجهود لمعالجة البيت الروسي المنهك داخليا (اقتصاديا واجتماعيا)، وذلك من خلال سياسات **التطبيع والاندماج غير المشروط**، وشهدت هذه المرحلة انفصال العديد من الدول والأقاليم عن روسيا، ولكن هذه السياسة تغيرت تدريجيا عند وصول بوتين الى السلطة، فقد حملت سياسة بوتين تحولات مهمة في توجه السياسة الخارجية الروسية تجاه أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، واتضح ذلك في اعادة ترتيب أولويات السياسة الخارجية الروسية، واظهار الرغبة في استعادة دور وقوة روسيا في شرق أوروبا أولا ثم في العالم ثانيا، اعتمادا على سياسات **الوسطية والبراغماتية** كبديل للسياسات التقليدية الايديولوجية.

حيث علقت طبقة النخبة على فلاديمير بوتين آمالا كبيرة للمحافظة على الوضع الراهن من أجل استمرار مصالحها، وكانت تطمح من جهة ثانية الأجهزة الأمنية أن ينجح في اعادة المجتمع الروسي الى نظام الاتحاد السوفياتي الدكتاتوري، في حين كان اللبراليين يدفعون نحو استمرار الاصلاحات الاقتصادية نحو اقتصاد السوق، أما عموم الشعب الروسي فكان يحلم بأن يجسد بوتين دور الزعيم القوي الذي ينهي الفوضى والفساد ويعيد النظام. وقد نجح بوتين في وقت قصير في جمع طموحات كل تلك الطبقات الاجتماعية، وذلك من خلال رسم السياسة الداخلية والخارجية الروسية التي تعيد لها قوتها ومكانتها الدولية.

فروسيا بوتين أصبحت قائمة على سياسة خارجية عملية تحكمها **المصالح الوطنية** (اقتصادية، أمنية)، وتنطلق من ادراك ومعرفة حقيقية بحدود القدرات القومية لروسيا الجديدة، وفي اطار رؤية تنطلق من التعاون والتنافس وليس المواجهة والصراع مع الاتحاد الأوروبي، رغم وجود مظاهر المنافسة بقوة، فيعتبر الاتحاد الأوروبي في عهد بوتين شريك استراتيجي. حيث شكلت التجارة الروسية مع أوروبا 48 % من مجمل تجارتها الخارجية سنة 2001، وتشكل في هذا الاطار صادرات الغاز الاجمالية اليها 62 %، وصادرات النفط 53 % وهو ما جعل الدخل القومي الروسي يقفز من 220 مليار دولار سنة 2000 الى ما يقارب 1500 مليار دولار سنة 2009. ومن جهة أخرى تسعى روسيا دائما لتفكيك التحالف الأوروبي مع الولايات المتحدة الأمريكية (خاصة في اطار حلف الناتو)، وذلك بغرض تقليص الدور العسكري الأمريكي في المناطق التي تعتبرها روسيا مجالاً حيوياً (كشرق أوروبا)، وتعتمد على دورها في اطار منظمة الأمن والتعاون الأوروبي في ابراز دورها وقدراتها في عمليات الوقاية من الأزمات وادارتها والمشاركة في عمليات حفظ السلام.

غير أن تعدد الاتجاهات داخل روسيا طرح نقاشاً حاداً حول الهوية الروسية والسياسة الخارجية الأنسب التي يجب أن تعتمدها تجاه أوروبا وهي:

1. **المدرسة الجيوبوليتيكية**:

وهي الوريث الفكري للتوجه المحافظ للاتحاد السوفياتي، وتمثل التيار المتشدد الذي ينطلق من **نظرة أولوية أوراسيا** (نظرية ماكيندر – **أوراسيا قلب العالم** من يسيطر عليها يسيطر على العالم)، وتقوم على **العداء** التام للغرب والناتو ورفض التعاون مع أوروبا والولايات المتحدة، مع ضرورة استعادة أوروبا الغربية وتحريرها من الهيمنة الأمريكية.

1. **المدرسة اللبرالية**:

هذا التوجه تمثله نخبة سياسية وفكرية في روسيا، وهي التي تؤيد ضرورة التحول السريع نحو اقتصاد السوق، وضرورة التحول من **التفكير الجيوبوليتيكي** الى **التفكير الجيو اقتصادي**، وأهم أنصار هذا الاتجاه الرئيس السابق يلتسن ووزير خارجيته كوزيريف، وتسعى الى التحول نحو الديمقراطية والرأسمالية.

1. **المدرسة الواقعية الروسية**:

وهو الاتجاه **الوسطي البراغمـــــاتي**، والذي يدعو الى ضــــــــرورة السيطـــــــــرة على المناطق الاستراتيجية في أوروبا الشرقية ووسط آسيا للوقوف في وجه الأطماع الأمريكية في المنطقة، ويقوم هذا الاتجاه على ضرورة ربط السياسة الخارجية الروسية **بالمصلحة الوطنية**، ويحددها ستانكوفيتش في - الاعتماد على النفس، منع مزيد من الانهيار ، انشاء نظام ديمقراطي، اعطاء أولوية للأمن العسكري والقومي نتيجة التهديدات الكبيرة التي تواجه روسيا داخليا وخارجيا، وهي نفس التهديدات التي يعيشها الغرب وأوروبا ومنه ضرورة التعاون لمواجهتها.

وشهدة السنوات الأخيرة تجسيدا واضحا لأفكار هذا التيار (الواقعية الروسية)، الذي تبناه بوتين وطبقه تدريجيا في سياسته الخارجية، فبعد أن وضع أسسه في العهدتين الأولى والثانية (2000-2004، 2004-2008)، ظهرت معالمه بشكل كبير في عهدته الثالثة (2012-2016)، حيث ظهرت الرغبة في استعادة دور وقوة روسيا اقليميا وعالميا، فظهر في حكمه تعاون اقتصادي كبير من جهة، ومنه اعتبار أوروبا شرك استراتيجي، ومن جهة أخرى تنافس وصراع سياسي وعسكري حاد من أجل السيطرة على أوروبا الشرقية وجمهوريات القوقاز . وبالتالي فان المبادئ الكبرى التي تبناها بوتين في سياسته الخارجية تتميز بالشفافية والوضوح والبراغماتية، وذلك من خلال حماية المصالح القومية الروسية مع تحاشي الانزلاق في نزاعات مع أوروبا.

وتجسدت عودة روسيا كقوة مؤثرة في النظام الدولي وأخذ دور استراتيجي في أوروبا الشرقية (أكرانيا)، والشرق الأوسط (سوريا)، وجمهوريات القوقاز والحزام الجنوبي لحدودها (آسيا الوسطى)، من خلال العديد من السياسات التي اعتمدتها في السنوات الأخيرة أهمها:

* رفض توسع حلف الناتو في أوروبا الشرقية، ومواجهة أي محاولة للتدخل في الدول التي تعتبرها روسيا حليف استراتيجي وامتداد لأمنها الاقليمي.
* المبادرة بتوقيع **الاتحاد الجمركي** سنة 2011 مع كل من بيلاروسيا وكزاخستان، والسعي لإلغاء التأشيرات بينها مستقبلا واعتماد عملة موحدة (خلق فضاء أوراسي مصغر).
* التوقيع على اتفاقية **الأمن الجماعي** مع كل من بيلاروسيا وكازخستان وأرمينيا وقيرغيزستان وطاجيكستان وأوزباكستان، للتعبير عن العمق الاستــــــــــــــــــــــــــــــــــــراتيجي لروسيا في منطقة وسط آسيا، وذلك من أجل الوقوف في وجه الأطماع الأمريكية في هذه المنطقة الغنية بالطاقة.
* التدخل العسكري في جورجيا سنة 2008 (رغم أنها تعتبر من حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية)، وهو ما اعتبره كثيرين اعلان لعودة روسيا الى تعداد القوى المؤثرة في العالم.
* التدخل العسكري في أكرانيا سنة 2014 وضم جزيرة القرم، والقيام بعمليات دعم الانفصاليين الأوكرانيين في دونيتسك، سعيا لإسقاط النظام القائم واعادة أوكرانيا لحضن روسيا، ومن جهة ثانية افشال الجهود الأمريكية الأوروبية في بناء مشروع الدرع النووي الواقي على الأراضي الأوكرانية بالقرب من الحدود الروسية.
* التدخل العسكري في سوريا سنة 2015، وهو ما يعبر عن تنامي القوة الروسية وايمانها بمبدأ الجيوسياسة الروسية "Geopolitics"، فهي أصبحت تتطلع الى لعب دور محوري في منطقة الشرق الأوسط، اعتمادا على تحالفاتها الرئيسية مع بعض القوى المؤثرة (محور موسكو-طهران، محور موسكو-أنقرة، محور موسكو- بيكين)، وقد استطاعت من خلال هذا التدخل التأكيد للعالم ولأوروبا أنها قوة عالمية، لها القدرة على المنافسة وحماية مصالحها وفق نفس السياسة والمبادئ التي تعتمدها أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية (الأمن الروسي مرتبط بالمصالح القومية الروسية).